IJEL International Journal of Education & Language Studies

International Journal of Education and Language Studies

ISSN: 2791-9323



Oumar-CHECKH OUSMAN[1]

RELIGIOUS FEATURES IN THE BOOK TUHFAT AL-NAZZAR

Istanbul / Türkiye

p. 8-24

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by **iThenticate** No **plagiarism** detected

Article History

Received: 08/01/2022
Accepted: 13/02/2022
published: 01/03/2022

Abstract:

Tuhfat Al-Nazzar is one of the most famous travel books in history. Ibn Battuta known for his travels, and because of his global fame, he called the Prince of Muslim Travellers. Ibn Battuta started this journey from his hometown Tangiers; He intended to make the pilgrimage to the Sacred House of God, and he took a friend in every city, who told about him and his city. The period of his travels was estimated to be approximately thirty years, and he dictated to "Ibn Jazi al-Kalbi" the details and anecdotes of those trips. Ibn Battuta excelled in the art of description and reached a high degree never before, and from this description appeared his fame in the field of travel literature. Ibn Battuta was not satisfied with the external description of the places that he visited, but he also elaborated on the entrances and exits of cities and the natures of the different peoples with whom he lived. He listed many interesting stories and mentioned several religious features; whether Islamic or other religions of different peoples that he passed through his travels. From this, derive the subject of this research entitled: Religious features in the book Tuhfat Al-Nazzar. The importance of this topic is to read the religious aspects that Ibn Battuta dealt with in his book Tuhfat al-Nazzar, where he mentioned some holy places and religious figures, Islamic, pagan, and others. This research specified in the book: "The Masterpiece of the Priests in the Oddities of the Cities and the Wonders of the Travels". In addition, this research aims to highlight the religious features included in the book Tuhfat Al-Nazzar were in Arab or foreign peoples of all kinds.

Key words: Features, Religions, Ibn Battuta, Journey, Islam, Paganism.

http://dx.doi.org/10.47832/2791-9323.1-3.2

[1] Dr. , The University of Maroua-Cameroon, oumarcheickh@yahoo.fr, https://orcid.org/0000-0002-7991-1880

الملامح الدينية في كتاب تحفة النظار

عمر شيخ عثمان [2]

الملخص

يُعَدُّ كتابُ تحفة النظار من أشهرِ كُتبِ الرِّحلاتِ في التاريخ؛ فقد عُرِفَ ابن بطوطة بكثرةِ أَسْفاره، وبسببِ شُهرتِه العالميةِ حيث لقب بأمير الرحَّالةِ المُسلمِين. بدأ ابن بطوطة هذه الرِحلة من طنجة مَسقطِ رأسِه؛ ناويًا حجَّ بيتِ اللهِ الحرام، واتخذَ في كلِّ مدينةٍ وقَفَ فيها صاحبًا، فحكى عنه وعن مدينته. قُدِّرَ زمنُ رِحلاتِه بما يَقربُ من الثلاثينَ عامًا، وقد أَمْلى على ابن جزي الكلبي تَفاصيلَ تلكَ الرِّحلاتِ ونَوادرَها، وبعدَما انتهى منَ التدوينِ أطلَقَ على مؤلَّفِه هذا اسمَ: «تُحْفة النُّظَّارِ في غرائبِ الأَمْصارِ وعجائبِ الأَسْفار». برع ابن بطوطة في فن الوصف ووصل درجة عالية لم يسبق إليه، ومن هذا الوصف ظهرت شهرته في مجال أدب الرحلة. لم يَكْتفِ ابن بطوطة بالوصفِ الخارجيِّ للأماكنِ التي زارَها، بل استفاضَ في الحديثِ عن مَداخلِ المدنِ ومَخارِجِها وطَبائعِ الشعوبِ المُختلِفةِ التي عاشَرَها، وسرَدَ العديدَ منَ الحِكاياتِ المشوِّقةِ وذكر عدة السمات الدينية؛ سواء كانت إسلامية أو غيرها من ديانات شعوب المختلفة التي مر بها طوال ترحاله. يستنبط من ذلك موضوع هذا البحث المعنون بـ: الملامح الدينية في كتاب تحفة النظار. تتمثل أهمية هذا الموضوع في قراءة الجوانب الدينية التي تناولها ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار؛ حيث أنه ذكر بعض الأماكن المقدسة والشخصيات الدينية الإسلامية والوثنية وغيرها. تتحدد هذا البحث في كتاب: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". ثم يهدف هذا البحث إلى إبراز السمات الدينية التي يضمها كتاب تحفة النظار، كانت في الشعوب العربية أو الأجنبية في مختلف أنواعها.

الكلمات المفتاحية: ملامح، ديانات، ابن بطوطة، رحلة، إسلام، وثنية.

المقدمة:

يُعَدُّ كتابُ تحفة النظار من أشهرِ كُتبِ الرِّحلاتِ في التاريخ؛ فقد عُرِفَ ابن بطوطة بكثرةِ أَسْفاره، وبسببِ شُهرتِه العالميةِ حيث لقب بأمير الرحَّالةِ المُسلمِين. بدأ ابن بطوطة هذه الرِحلة من «طنجة» مَسقطِ رأسِه؛ ناويًا حجَّ بيتِ اللهِ الحرام، واتخذَ في كلِّ مدينةٍ وقَفَ فيها صاحبًا، فحكى عنه وعن مدينته. قُدِّرَ زمنُ رِحلاتِه بما يَقربُ من الثلاثينَ عامًا، وقد أَمْلى على «ابن جزي الكلبي» تَفاصيلَ تلكَ الرِّحلاتِ ونَوادرَها، وبعدَما انتهى منَ التدوينِ أطلَقَ على مؤلَّفِه هذا اسمَ: «تُحْفة النُّظَّارِ في غرائبِ الأَمْصارِ وعجائبِ الأَسْفار». استنبط من ذلك موضوع هذا البحث الذي جاء بعنوان "الملامح الدينية في كتاب تحفة النظار". تتمثل أهمية هذا الموضوع في قراءة الجوانب الدينية التي تناولها ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار؛ حيث أنه ذكر بعض الأماكن المقدسة والشخصيات الدينية الإسلامية والوثنية وغيرها. يتحدد هذا البحث في كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". ثم يهدف هذا البحث إلى إبراز السمات الدينية التي يضمها كتاب تحفة النظار كانت في الشعوب العربية أو الأجنبية في مختلف أنواعها. ويأتي هيكل هذا البحث أولا التعريف بن بطوطة وكتابه تحفة النظار؛ ثانيا النبذة المختصرة عن الديانات؛ ثالثا بعض ملامح الإسلامية في تحفة النظار؛ رابعا بعض ملامح الدينية غير الإسلامية (اليهودية، النصرانية والوثنية الجاهلية).

1. التعريف بابن بطوطة وكتابه "تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

وهو أعظم رحالة المسلمين الذي يتميز برحلته كما هو معلوم بمعرفة المزيد من المعلومات التي ذكرت: "وهو يتحدث عن مراحل تنقلاته وعن مشاعره، مما يرتضيه ولا يرتضيه، هذا إلى تعرفنا على الجهات التي يمرّ بها جغرافيا وبشريا وفكريا، فنشعر بنوع من التجديد في الفائدة، بنوع من تمكن الكاتب من التعبير عمّا يريد أن يؤديه، بأسلوبه الذي يتغلب به على كلّ الصّعاب، والذي يجعله مهيمنا على إبلاغ الناس ما يريد إبلاغه من وصف للطبيعة وتقديم للظواهر التي تحف بمحيطه والبيئة التي يعيشها". (التازي: 1/1997م: 140)

[2] د.، جامعة ماروا-كاميرون، oumarcheickh@yahoo.fr

مولده ونشأته

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللّواتي الطنجي الملقب في المشرق بشمس الدّين والمكنّى بأبي أحمد لوجود ولَد له يحمل هذا الاسم، ومعلوم أن (لواتة) قبيلة واسعة الانتشار في مصر يؤكد المقريزي أنها عربية. وعاش ما بين 703-779 هـ الموافق 1304-1377 م في عائلة من علماء القضاء بمدينة طنجة بالمغرب، خلال عهد الدولة المرينية. وكما قد قيل: "ولد عبد الله ابن بطوطة بطنجة يوم الاثنين 17 رجب 703هـ الموافق 24 فبراير 1304م بالمغرب الأقصى من أسرة تنتمي إلى قبيلة مشهورة اللواتة، وهي عربية الأصل وقديمة الوجود في بلاد العربية". (الزركلي،2002/6م: 236)

نشأ في طنجة، واشتهر بـ"ابن بطوطة"، يُنسب إلى قبيلة "لواتة" البربرية، التي انتشرت بطونها على طول سواحل إفريقيا حتى مصر، وينحدر من أسرة عالية، تقلَّد العديد من أبنائها منصب القضاء؛ وذلك لنبوغهم في العلوم الشرعية، وكان أبوه فقيهًا يشتغل بالقضاء، وعمل على إعداد ولده ليكون خلفًا له؛ فقام على تحفيظ ابن بطوطة القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ودرَّسَ له العلوم الشرعية، كما قام بتعليمه الأدب والشعر، فشبَّ ابن بطوطة محبًّا للعلم والعلماء، ولكن لم يُتِمَّ ابن بطوطة دراسته للفقه بسبب رغبته في السفر والترحال؛ فكان خروجه إلى الحج، وهو في الثانية والعشرين من عمره، نقطة تحولٍ فارقة في حياة ابن بطوطة، إذ ارتدى منذ ذاك الحين ثوب الترحال وأخذ يجوب أرجاء العالم الإسلامي من بلدٍ لآخر. (ابن بطوطة،1987م: 14)

لكن ما دوّنه في رحلته كان كافيّا وحده ليعطي فكرة مدققة عن الرجل من نشأته بطنجة إلى أن استقبله بفاس السلطان أبو عنان، وإلى أن صحب ركبه وهو عائد من مراكش يحتمل شلو أبيه ... فكرة مدققة عن صفاته، وعن شخصيته، وعن إبائه وعن حالته الاجتماعية. وتبقى بعد هذا نحو ثلاث عشر سنة من حياة الرجل ظلت تفاصيلها غائبة عنا لم نعرف عنها شيئا عن أهله وعن نسله سوى أنه كان يزاول القضاء في إقليم تامسنا الذي يعتبر من أوسع وأغنى الأقاليم المغربية في مملكة فاس... لقد خفت صوته باختفاء وليّ نعمته السلطان أبي عنان. (ابن الوزان،1980/1م: 151)

رحلته ووفاته

بدأت رحلته عام "725 هـ" من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة، وظل بها زهاء تسعة وعشرون عامًا يرحل من بلدٍ إلى آخر، ثم عاد في النهاية إلى المغرب ليملي مشاهداته على الأديب محمد بن جزى الكلبي[3] . كان ذلك بتكليفٍ من ابن عنان الفارسي[4] سلطان المغرب، وسمّى ابن بطوطة رحلته "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، وروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان زارها، فصوّر لنا الكثير من عاداتٍ وتقاليدٍ في المجتمعات المختلفة، فقدّم لنا خلال رحلته هذه في عمومها صورةٌ شاملةً دقيقةً للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، مبرزًا فيها جوانب مشرقة للحضارة الإسلامية وشعوبها المختلفة، بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية عند غيره من الكُتّاب. " (ابن بطوطة،1987م: 13)

وقيل ترك ابن بطوطة طنجة سنة 1325م ولم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره قاصدا مكة، غير أن هذه الرحلة إلى الحج انقلبت إلى جولة استغرقت أربعا وعشرين سنة شملت افريقيا الشمالية واسيا وتعرف خلالها على أهم عواصم العالم القديم وحج اثناءها ست مرات، وقد كانت هذه أهم رحلاته اذ فيها وصل إلى الصين والهند وفيها ولي القضاء مرتين مرة في دلهي ومرة في ذيبة المهل، وكان ابن بطوطة ينوي زيارة الهند عن طريق اليمن غير انه لم يجد المركب والرفيق فذهب إلى مصر ومنها إلى العلايا ليسلك طريق البر. (ابن بطوطة،1987م: 16)

أما رحلته الثانية فابتدأت من فاس 1350م، واستمرت سنة واحدة وكانت غاية ابن بطوطة أن يجاهد ويرابط ضد الفونس11 (Alphonse 11) ملك الدولة المسيحية بقشتالة وكانت دولته أخذت تنمو نموا مطردا على حساب الدولة

---

[3]محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يوسف بن عبد الرحمن بن جزي الكلبي الغرناطي ولد يوم التاسع من ربيع الثاني عام 693 هـ في مدينة غرناطة عاصمة الأندلس آنذاك، وقُتل في معركة طريف الشهيرة التي دارت رحاها في الأندلس بداية شهر جمادى الأولى من عام 741 للهجرة، هو مؤلّف وشاعر وخطيب ومؤرّخ وفقيه إسلامي عاش في نهاية القرن السابع الهجري

[4]أبو عِنان فارس بن علي (ولد بفاس سنة 1329) هو حاكم مريني. وقد خلف والدَه أبا الحسن علي بن عثمان كسلطان للمغرب سنة 1348م. مات خنقا من قبل وزيره سنة 1358م.

الإسلامية في غرناطة. لكن ابن بطوطة لم يلبث أن أصبح متجولا كعادته فلم يقم طويلا ليجاهد ويرابط ولم يخض معركة وانما أخذ يتنقل من بلد إلى بلد ليصفها وصف السائح في السفر. لما رجع إلى فاس لم يقم الا فترة ليوالي سفره في افريقيا السوداء. (ابن بطوطة،1987م: 17)

وأما عن رحلته الثالثة والأخيرة فابتدأت من فاس في سنة 1352م، وتعتبر من أهم الرحلات نظرا لكون ابن بطوطة من القلائل الذين غامروا في ذلك الصقع النائي، والغالب أن ابا عنان أرسل ابن بطوطة إلى هذه الناحية ليتصل بملوكها وأمرائها ويحيى العلائق التجارية والسياسية معها وقد كان ابو الحسن واصل ملك مالي منسي بن موسى[5] . ثم رجع عن يودا إلى سجلماسة فدار الطمع ففاس. (ابن بطوطة،1987م: 20- 21)

قيل إن رحلة ابن بطوطة لها مكان في مجال أدب الرحلات، بل فاقت كثير ما كُتِب في هذا المجال حيث أشار البيلوني في في ديباجة (المنتقي) إلى أصالة رحلة لابن بطوطة، ووصف بأنها" قطب" لجميع الرحلات! قائلا:

حيث أبصرت رحلة لإمام فهي ذيل لرحلة ابن بطوطة

إنما الكون دارة، وهي قطب بجميع الجهات منه منوطة

جعل الله روحه ق رياض حيثما ينسج الغمام خيوطه

(البيلوني، 1968م: 9-10)

لقد أنهى ابن بطوطة بالتعاون مع ابن جزي من إنهاء كتابة الرحلة في 3 ذي الحجة 756هـ، توفي عام "777 هـ/1375م"، ومن يزور المغرب اليوم سيجد بمدينة طنجة طريقًا باسم ابن بطوطة حيث كان يعيش، وسيجد بالقرب من سوق طنجة ضريحه الذي دفن فيه. (ابن بطوطة،1987م: 22)

وقيل مات ابن بطوطة في مراكش، وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين Prince of moslems travellers وفي نابلس (بفلسطين) أسرة، الآن، تدعى (بيت بطبوط) وتعرف ببيت المغربي وبيت كمال، تقول إنها من نسل ابن بطوطة. (الزركلي، 2002/6م: 236)

كتابه "تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"

فالكتاب جاء بعنوان: رحلة ابن بطوطة الذي اشتهر بـ «تحفة النظار في غرائب المصار وعجائب الأسفار". قدم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العرياني، تحت مراجعة وإعداد فهارسه الأستاذ مصطفى القصاص. نشر هذه الطبعة الأولى في بيروت بدار إحياء العلوم سنة 1407هـ الموافق 1987م في لبنان. هذا الكتاب يضم ثمان مئة صفحة إلا واحدة حيث أعلن المحقق المسمى أعلاه مقدمة ذات بهجة وتقريظ للكتاب، ثم شرع في سرد نبذة مختصرة عن ابن بطوطة وابن جزي مع عرض تحليل ابن خلدون على رحلة ابن بطوطة. وصعب بالمكان أن يفصل الباحث بين الموضوعات الأساسية والموضوعات الفرعية بالدراسة؛ لأن العناوين مختلطة وغير معدودة، لا من الفصول والمباحث كما يشترط الكتابة العلمية ولا من الأبواب والمطالب. لكن الباحث سيبذل قصارى جهده في استخراجها ممثلا، مرتبا ومشيرا إلى صفاحات المعينة التي تتناول تلك الموضوعات الأساسية والفرعية بالتحديد.

من ذلك مقدمة ابن جزي لرحلة ابن بطوطة التي تقدمت ما بين صفحة (29-32)؛ وبالتالي الرحلة إلى الحج ومشاهداته في السفر من طنجة إلى بلاد المقدسة كعنوان أساسي الذي يحتوي ذكر قصص وحكايات... (33-123)؛ ثم الوصول ببلاد الحرمين من زيارة مسجد النبوي وروضته الشريفة بمدينة المنورة وذكر مناسك الحج من الكعبة الشريفة وذكر زمزم بمكة المكرمة وما شاهد من عادات وتقاليد أهلها... (124-190)؛ ويتركز بقية الكتاب على ذكر المدن التي تتفرع منها ذكر سلاطينها وأمراءها وملوكها وحوادث التي شاهدها ابن بطوطة من قصص وحكايات وعجائب الواردة في تلك الرحلة. (191-711)؛ ثم تمثلت خاتمة ابن جزي للكتاب من (715-719) وبعد، عرض فهارس الأعلام والمدن والقرى والأنهار والبحار والجبال والصحاري والحصون والمحتويات(799-719) .

---

[5]حاجي كانجا مانسا موسى (توفي عام 1337م) أعظم زعماء امبراطورية مالي، ومن أشهر زعماء أفريقيا والإسلام في القرون الوسطى، خلف السلطان أبو بكر الثاني عام 1312م. كان عالما ورعا إلى جانب حنكته السياسية. في عهده ازدهرت جامعة سانكوري كمركز للعلم في أفريقيا

ويلاحظ الباحث أن عمل ابن جزى الكلبى في رحلات ابن بطوطة تلخيص المطوّل وترتيب الأفكار، كما أضاف بعض الأشعار، واستعان في تحقيق بعض الأجزاء بكتب الرحلات السابقة كـ "رحلة ابن جبير"، ويبدو ذلك واضحًا؛ لأن بعض أجزاء الرحلة ليست من سرد ابن بطوطة، وإنّما من أسلوب ابن جُزيّ، ولاسيما في مقدمة الكتاب وخاتمته، وفى كلّ مقدمةٍ وصف بها مدينة كبيرة؛ استخدم ابن جزى الكلبى أسلوب السجع والتنميق...

2. النبذة المختصرة عن الديانات

الأديان السماوية

معنى الأديان السماوية أي التعاليم السماوية التي أرسلها الله -تعالى-العليم الخبير بنفوس العباد، العالم بما يصلح لهم في حياتهم وآخرتهم، يأتي بها رسول من البشر موحى إليه من الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه التعاليم الإيمان بخالق واحد لهذا الكون إليه تصرف العبادة والتذلل والخضوع ويفرد وحده بالعبادة، ويلي الإيمان بالإله تعالى الإيمان باليوم الآخر والإيمان بوجود الحساب والعقاب والجنة والنار. (عبد القادر، 2011م: 35)

فجاء الدين واحدًا على ألسنة جميع الأنبياء والرسل السابقين، ومضمون كتبها السماوية قائم على أن تكون منهجًا للبشر في حياتهم، وهذا قبل أن يصل لبعضها التحريف والتبديل في مضامينها، بالإضافة لكون كل من تشريع الصلاة والصوم والزكاة ومواضع النسك من القواسم المشتركة التي جاءت بها الأديان السماويّة، على الرغم من اختلاف طريقة أدائها من شريعة إلى شريعة. (البسيط، 1425هـ: 16)

يشكّل الشرق الأدنى والشرق الأوسط مهد الديانة اليهودية والديانة المسيحية وهما اثنتان من الديانات الثلاث الكبرى العالمية الحالية التي تُعرف بالتوحيدية. تمتد جذور الديانة اليهودية إلى التاريخ القديم، في حين أنّ المسيحية ظهرت بمثابة تطوّر غير اعتيادي للجدالات التي عرفتها اليهودية في مقاطعة "اليهودية" الرومانية، في بداية عصرنا. وما يأتي تفصيل أكثر في الديانات السماويّة.

الديانة اليهودية

دين سماويّ قائم في أصله على التوحيد، وذلك قبل أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل، ومصدر الكتاب السماوي في الديانة اليهودية هو الله تعالى، واسم كتابهم التوراة، نزل على نبيّ الله موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرسل، بُعث إلى اليهود، ويعرفون قديمًا بالعبرانيين، واشتهر عنهم اسم بني إسرائيل. (عبد القادر، 2011م: 102)

نزل الوحي على نبي الله موسى عليه السلام في طور سيناء ليبلّغ الناس بأصول الدعوة اليهودية، وهي؛ توحيد الله تعالى، الإيمان باليوم الآخر، وأمدّه بعض الآيات التي تشير إلى أنّه -عليه السلام- نبي من الأنبياء موحى إليه من عند ربه. (غلوش، 1423هـ: 282)

الديانة المسيحية

دين سماويّ قائم في أصله على التوحيد، وذلك قبل أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل وهو خاصٌ ببني إسرائيل، ومصدر الكتاب السماوي في الديانة المسيحية هو الله تعالى واسم كتابهم الإنجيل، جاء به نبيّ الله عيسى -عليه السلام- وهو من أولي العزم من الرسل، وقد كانت دعوة عيسى عليه السلام -وهي الديانة المسيحية -مجددة لدعوة موسى عليه السلام، مصدّقة لما في التوراة وهو الكتاب السماوي الذّي جاء بها موسى عليه السلام، ترتكز المسيحية الحقة على توحيد الله تعالى، والتصديق بالكتب السابقة، والتبشير بنبوّة محمد ﷺ، وجاء الإنجيل بشرائع جديدة تناسب ما يحتاجه قوم عيسى عليه السلام. (غلوش، 1423هـ: 475)

أما الإسلام، رغم كونه ظهر في بقعة نائية من غربي شبه الجزيرة العربية في بداية القرن السابع، فانضم إلى مصاف اليهودية والمسيحية اللتين كانتا قد تثبّتتا قبله، فانتشر إثر توسّع القبائل إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية حيث استقرّت في الأراضي الأصلية لليهودية والمسيحية

الدين الإسلامي

هو دين الأنبياء جميعهم بصفة عامة ودين النبي محمد -ﷺ- على وجه الخصوص وهو دين البشرية كافة وامتدادٌ للرسالات السماوية التي نزت على الرسل من قبل، قائمٌ على الإتيان بأركان ثلاثة؛ هي شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله، والإتيان بالعمل الصالح، المتمثل بالأركان الخمسة؛ وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لبيت الله الحرام لمن امتلك الاستطاعة، وبالشريعة الإسلامية ختم الله -تعالى- جميع الشرائع السماويّة السابقة. (المرجع السابق: 17)

3. بعض المظاهر الإسلامية في تحفة النظار

ذكر العلماء والمشايخ وكراماتهم

الحديث عن الملامح الإسلامية في الكتاب تحفة النظار، أمر واسع فهو عبارة عن ذكر كل ما يتعلق بدين الإسلام، سواء كان من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو المسائل الشرعية أم المناسك للعبادة كالمساجد. لكن الباحث يقتصر بذكر العلماء والمشايخ مع كراماتهم الواردة في رحلة ابن بطوطة؛ وذكر بعض الجوامع المساجد؛ ومناسك الحج مع بعض أماكن المقدسة.

وفيما يتعلق بذكر العلماء يبدأ الباحث ببعض علماء الإسكندرية حيث ذكر ابن بطوطة: "فمنهم قاضيها عماد الدين الكندي إمام أيمة علم اللّسان، وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها! رأيته يوما قاعدا في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب! ومنهم فخر الدين بن الرّيغي وهو أيضا من القضاة بالإسكندرية فاضل من أهل العلم". (ابن بطوطة، 1987م: 41)

تناول ابن بطوطة ذكر علماء مصر وأعيانها في كتابه حيث أورد: "فمنهم شمس الدين الأصبهاني إمام الدنيا في المعقولات[6]، ومنهم شرف الدين الزواوي المالكي[7]، ومنهم برهان الدين ابن بنت الشاذلي نائب قاضي القضاة بجامع الصالح[8]، ومنهم ركن الدين ابن القويع التونسي من الأيمة في المعقولات[9]، ومنهم شمس الدين ابن عدلان كبير الشافعية[10]، ومنهم بهاء الدين ابن عقيل فقيه كبير[11]، ومنهم أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي[12] وهو أعلمهم بالنحو، ومنهم المحتسب بمصر نجم الدين السهرتي من كبار الفقهاء وله بمصر رياسة عظيمة وجاه. (المرجع السابق: 64)

---

[6] شمس الدين هذا هو محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي، ولد وتعلم في أصبهان ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها وانتقل إلى القاهرة فنال بها حظوة لدى الحكام إلى أن توفي عام 749. 1349 بالطاعون العام، له عدة تاليف منها" التفسير"، سماه أنوار الحقائق. . الدرر الكامنة 5، 95.

[7] يعتبر شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي 664. 743. 1265. 1342 من العلماء المالكية المومموقين، تفقه ببجاية والاسكندرية، ورجع إلى قابس فولى القضاء بها، وانتقل إلى مصر فدرس بالأزهر وناب في الحكم بدمشق ثم بالقاهرة وانقطع للتصنيف، من كتبه : إكمال الإكمال ... و" تاريخ" كبير شرع في جمعه فكتب منه عشر مجلدات. . الدرر الكامنة 3 ص 289 . 290.

[8] لم نقف على ترجمة لسبط الشاذلي هذا ...

[9] القصد إلى الطبيب الشاعر محمد عبد الرحمن بن يوسف ابن القويع المالكي . 738 . 1266 . 1338 64، وهو من فضلاء المالكية، كان يفتى مع اشتغاله بالحكمة والطب، ولد بتونس وتعلم بها وبدمشق واستقر بالقاهرة وكان يفتى على مذهب الامام مالك ... الدرر الكامنة 4، 299.

[10] كان محمد بن أحمد بن عثمان بن ابراهيم ابن عدلان هذا قاضيا للعسكر في أيام الناصر يلقب شمس الدين وكان مدار الفتيا عليه وعلى الشهاب الانصاري، وقد توجه رسولا إلى صاحب اليمن أوائل سنة 707 هـ ولد عام 660. 1262 وتوفي في ذي القعدة 749 . يبراير 1349. . الدرر الكامنة 3 ص 423.

[11] ابن عقيل هذا هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله من نسل عقيل ابن أبي طالب، مشهور بالنحو أكثر من اشتهاره بالفقه، حتى قال ابن حيان : ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل، له شرح ألفية ابن مالك متداول بين الناس، وقد درسنا النحو به بجامعة فاس الشهيرة بجامع القرويين، وقد ترجم مع (الألفية) إلى اللغة الألمانية، وله أيضا الجامع النفيس في فقه الشافعية، وتيسير الاستعداد لتربة الاجتهاد وهو تلخيص الجامع النفيس، أدركه أجله 23 ربيع الأول 769 . نونبر 1367. الدرر الكامنة 2، 272 . 273.

[12] أبو حيان النحوي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي من كبار العلماء باللغة العربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة وتنقل إلى أن أقام في القاهرة وتوفي فيها 28 صفر 745 . 11 يوليه 1344، من كتبه : البحر المحيط في تفسير القرآن، ثمان مجلدات، وله كتاب : زهوّ الملك في نحو الترك، والادراك، للسان الاتراك، وله كتاب : نور الغبش في لسان الحبش. . الدرر الكامنة 5، 70 . 75.

بعض فضلاء القدس

زاد ابن بطوطة على ذكر العلماء الذين مر بهم خلال رحلته، ذكر بعض فضلاء القدس حيث قال: "فمنهم قاضيه العالم شمس الدين محمد بن سالم الغزّي بفتح الغين وهو من أهل غزة وكبرائها[13]، ومنهم خطيبه الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي، ومنهم المحدّث المفتي شهاب الدين الطبري، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقات الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطي نزيل القدس[14]، ومنهم الشيخ الزاهد أبو علي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين، ومنهم الشيخ الصالح العابد كمال الدين المراغي، ومنهم الشيخ الصالح العابد أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى من أهل أرز الروم وهو من تلامذة تاج الدين الرفاعي، صحبته ولبست منه خرقة التصوف [15]".
(المرجع السابق: 77)

كرامة الشيخ خليفة

كان لهذا الشيخ كرامات أخبر ابن بطوطة عنها في تحفة النظار حيث قال: "أخبرني بعض الثقات من أصحابه، قال : رأي الشيخ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال له يا خليفة زرنا. فرحل إلى المدينة الشريفة وأتى المسجد الكريم فدخل من باب السلام وحيّى المسجد وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقعد مستندا إلى بعض سواري المسجد ووضع رأسه على ركبتيه، وذلك يسمى عند المتصوفة التزبيق[16]، فلما رفع رأسه وجد أربعة أرغفة وآنية فيها لبن وطبقا فيه تمر فأكل هو وأصحابه وانصرف عائدا إلى الاسكندرية ولم يحج تلك السنة. ومنهم الامام العالم الزاهد الورع الخاشع برهان الدين الأعرج من كبار الزهاد، وأفراد العبّاد، لقيته أيام مقامي بالإسكندرية وأقمت في ضيافته ثلاثا. (المرجع السابق: 42)

ومن كرامات الشيخ الخليفة أيضا أحبرنا ابن بطوطة في رحلته: "دخلت عليه يوما فقال لي : أراك تحب السياحة والجولان في البلاد، فقلت له : نعم إني أحب ذلك، ولم يكن حينئذ خطر بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند والصين، فقال : لا بد لك إن شاء الله من زيارة أخي فريد الدين بالهند وأخي ركن الدين زكرياء بالسند وأخي برهان الدين بالصين! فإذا بلغتهم فأبلغهم مني السلام. فعجبت من قوله، وألقي في روعي التوجه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه. ولما ودعته زوّدني دراهم لم تزل عندي محوطة ولم احتج بعد إلى إنفاقها إلى أن سلبها مني كفار الهنود فيما سلبوه لي في البحر. ومنهم الشيخ ياقوت الحبشي[17] من أفراد الرجال، وهو تلميذ أبي العباس المرسي[18]، وأبو العباس المرسي تلميذ ولي الله تعالى أبي الحسن الشاذلي الشهير ذي الكرامات الجليلة والمقامات العالية [19]. (المرجع نفسه)

---

[13]هو محمد بن سالم بن عبد الناصر بن سالم الكناني الغزي، شمس الدين ... حدّث وأفتى وحكم بالقدس وتوفي سنة نيف وخمسين وسبعمائة 1350 .الدرر 4، 62 . 63.

[14]أتساءل عن عدم ذكر ابن بطوطة لأوقاف المغاربة بالقدس المنسوبة للشيخ عمر المصمودي وترجع لتاريخ 703 هـ. د. التازي .القدس والخليل عند الرحالة المغاربة .نشر منظمة الإيسيسكو 1997.

[15]الخرقة يسلمها الشيخ إلى مريديه بعد طول عشرة وممارسة، وهي تعني انقطاع حاملها عن هذا العالم وانصرافه الكامل للعبادة، وبما أن الوقت لم يمكن ابن بطوطة من طول الممارسة، فيظهر أن تسليمه" الخرقة" إنما كان تعبيرا عن" التبرّك"

[16]التّزبيق : هذا هو الصواب على ما نجده في مخطوطة الخزانة الملكية ومخطوطة الأكاديمية الملكية بمدريد وهي مخطوطة گايانيگوس وليس الترفيق كما نجد في النسخة الباريزية التي نشرها الاثنان. D. S / يراجع دوزي مادة زبّق : Gibb : Travel ... Note 06 P.32 T.l.

[17]ياقوت الحبشي صوفيّ شهير بالكرامات التي تروى عنه، أدركه أجله يوم 18 جمادى 732 II . 17 مارس 1332 بالاسكندرية حيث يزار قبره ويعرف باسم العرشي. .ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة. 592 .x1 الدرر الكامنة ج 5. 183. التازي : حول الإمام البوصيري جريدة العلم 26 / 9 / 1995

[18]هو أحمد بن عمر المرسى، أبو العباس، شهاب الدين، فقيه متصوف من أهل الاسكندرية ولأهلها فيه اعتقاد كبير إلى اليوم أصله من مرسية في الأندلس وقد توفي عام 686 . 1287. تاريخ الإسكندرية وحضارتها للدكتور السيد عبد العزيز سالم . دار المعارف 1969.

[19]أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربيّ الأصل، مؤسس الطريقة الشاذلية، ولد في قبيلة شاذلة فنسب إليها، ورحل إلى بلاد المشرق ودخل العراق ثم سكن بالإسكندرية وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج عام 1258 ينتسب إلى الادارسة بالمغرب، وفي رحلته لبلاد النوبة

كرامة أبي الحسن الشاذلي

ومما أخبرنا صاحب الرحلة عن كرامات الأولياء كرامة الولي الكامل أبو الحسن الشاذلي حيث قال عنه: "الشيخ ياقوت عن شيخه أبي العباس المرسي أن أبا الحسن كان يحج كل سنة ويجعل طريقه على صعيد مصر، ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده إلى انقضاء الحج، ويزور القبر الشريف ويعود على الدرب الكبير إلى بلده، فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها، قال لخديمه : استصحب فأسا وقفة وحنوطا وما يجهز به الميت، فقال له الخديم : ولماذا يا سيدي؟ فقال له : في (حميثرا) سوف ترى، وحميثرا بصعيد مصر في صحراء عيذاب[20] . وبها عين ماء زعاق، وهي كثيرة الضباع، فلما بلغا حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن وصلى ركعتين وقبضه الله عزوجل في آخر سجدة من صلاته ودفن هناك، قبره وعليه قبرية مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا إلى الحسن بن علي رضي الله عنه". (المرجع السابق: 43)

كرامة الشيخ أبي عبد الله المرشدي

ومما ذكر الرحالة عن كرامات الأولياء لما دخل زاوية الشيخ أبي عبد الله المرشدي: "رأيت ليلتي تلك، وأنا نائم بسطح الزاوية كأني على جناح طائر عظيم يطير بي في سمت القبلة، ثم يتيامن ثم يشرق ثم يذهب في ناحية الجنوب ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق وينزل في أرض مظلمة خضراء ويتركني بها فعجبت من هذه الرؤيا، وقلت في نفسي : إن كاشفني الشيخ برؤياي فهو كما يحكى عنه! فلما غدوت لصلاة الصبح قدمني إماما لها، ثم أتاه الأمير يلملك فوادعه وانصرف. وودعه من كان هناك من الزوار وانصرفوا أجمعين من بعد أن زودهم كعيكات صغارا. ثم صلى سبحة الضحى، ودعاني وكاشفني برؤياي، فقصصتها عليه فقال سوف تحج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك وبلاد الهند وتبقى بها مدة طويلة وستلقى بها أخي دلشاد الهندي، ويخلّصك من شدة تقع فيها، ثم زوّدني كعيكات ودراهم وودادعته وانصرفت، ومنذ فارقته لم ألق في أسفاري إلا خيرا وظهرت علي بركاته، ثم لم ألق فيمن لقيته مثله الا الولي سيدي محمد المولّه، بأرض الهند". (المرجع السابق: 44)

كرامة الشيخ جمال الدين

ذكر ابن بطوطة كرامة هذا الشيخ وقال: "أنه لما قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد فخرج يوما إلى جنازة بعض الأعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة فقال له أنت الشيخ المبتدع؟ فقال له : وأنت القاضي الجاهل تمرّ بدابتك بين القبور وتعلم أن حرمة الانسان ميتا كحرمته حيا! فقال له القاضي : وأعظم من ذلك حلقك للحيتك!! فقال له : إياي تعني؟ وزعق الشيخ ثم رفع رأسه فإذا هو ذو لحية سوداء عظيمة، فعجب القاضي ومن معه ونزل إليه عن بغلته ثم زعق ثانية فإذا هو ذو لحية بيضاء حسنة ثم زعق ثالثة ورفع رأسه فإذا هو بلا لحية كهيئته الأولى، فقبل القاضي يده وتلمذ له وبنى له زاوية حسنة، وصحبه أيام حياته". (المرجع نفسه)

كرامة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسني

واصل ابن بطوطة بذكر كرامات الأولياء إلى ذكره بكرامة السيد الشريف عبد الله الحسني حيث قال: "دخلت إلى هذا الشريف متبركا برؤيته والسلام عليه فسألني عن قصدي، فأخبرته، إني أريد حج البيت الحرام على طريق جدة، فقال لي : لا يحصل لك هذا في هذا الوقت فارجع وإنما تحج أول حجة على الدرب الشامي فانصرفت عنه ولم اعمل على كلامه ومضيت في طريقي حتى وصلت إلى عيذاب فلم يتمكن لي السفر فعدت راجعا إلى مصر ثم إلى الشام، وكان طريقي في أول حجاتي على الدرب الشامي حسبما أخبرني الشريف نفع الله به". (المرجع السابق: 58)

1887 يتحدث بورخارت (Burckardt) عن وجود سهل في مصر العليا يحتوي على بعض الآبار الحلوة يحمل ذلك السهل اسم الشيخ الشاذلي، يوجد هناك قبر لأحد الأولياء يقصده الناس للتبرك ...

[20] يذكر التّجيبي أن حميثراء بئر لا يقيم ماؤها بالمعدة وينزل مسرعا ... وبإزائها قبر أبي الحسن الذي يقصده أهل القوافل للزيارة وقد تميزت معلومات ابن بطوطة بذكرها للقبرية. وقد كان ابن جبير نقل عن أصحاب المراكب في عيذاب أنهم يشحنون الحجاج في مراكب كأنها أقفاص الدجاج لا يبالون بما يصنع البحر بهم قائلين : علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح!!التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور. الدار العربية للكتاب، ليبيا. تونس 1395 . 1975 ص 205. وقد وصف التجيبي مراكب هذا البحر بأنها في غاية من ضعف البنية! وقال : أنه ركبها مضطرا ومتوكلا على الله! ابن اياس : بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى . الهيئة، المصرية للكتاب القاهرة 1402 . 1982، ص 20.

نحتم ذكر العلماء والمشائخ والأولياء وكراماتهم بعرض حكاية أدهم الزاهد الذي ذكره ابن بطوطة في رحلته حيث قال: "أنه مرّ ذات يوم ببساتين مدينة بخارى وتوضأ من بعض الأنهار التي تتخللها فإذا بتفاحة يحملها ماء النّهر، فقال : هذه لا خطر لها فأكلها، ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس، فعزم على أن يستحلّ من صاحب البستان، فقرع باب البستان فخرجت إليه جارية، فقال لها: ادعي لي صاحب المنزل! فقالت : إنه لامرأة، فقال : استأذني لي عليها ففعلت، فأخبر المرأة بخبر التّفاحة، فقالت له : ان هذا البستان، نصفه لي ونصفه للسلطان، والسلطان يومئذ ببلخ، وهي مسيرة عشرة من بخارى، وأحلته المرأة من نصفها وذهب إلى بلخ فاعترض السلطان في موكبه، فأخبره الخبر واستحله، فأمره أن يعود إليه من الغد". (المرجع السابق: 95)

ذكر المساجد

وفيما يتعلق بالمساجد الجامعة التي عرض ذكرها ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار، اقتصر الباحث بذكر بعض منها؛ كمسجد عمرو بن العاص ومسجد المقدس الشريف و جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية ومسجد الأقدام بدمشق ثم مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة مع روضته الشريفة ومسجد الحرام بمكة المكرمة مع كعبة المشرفة وغيرها من أماكن المقدسة. وأما المساجد بدأ الباحث بمسجد عمرو بن العاص وما يجاوره من الزوايا.

مسجد عمرو بن العاص

سرد الرحالة ابن بطوطة عن وصف هذا المسجد وما يتعلق به من الزوايا في قوله: "ومسجد عمرو بن العاص[21] مسجد شريف كبير القدر شهير الذكر، تقام فيه الجمعة، والطريق يعترضه من شرق إلى غرب، وبشرقه الزاوية حيث كان يدرس الإمام أبو عبد الله الشافعي[22] . وأما الزوايا فكثيرة وهم يسمونها الخوانق[23]، واحدتها خانقه والأمراء بمصر يتنافسون في بناء الزوايا، وكل زاوية بمصر معينة لطائفة من الفقراء وأكثرهم الأعاجم، وهم أهل أدب ومعرفة بطريقة التصوف، ولكل زاوية شيخ وحارس، وترتيب أمورهم عجيب". (المرجع السابق: 56)

مسجد مدينة الخليل

وصل الرحالة إلى مدينة الخليل[24] صلى الله على نبيّنا وعليه وسلم تسليما ثم ذكر عن مسجدها قائلا: "هو أنيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع[25] مبني بالصخر المنحوت، في أحد أركانه صخرة أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا. ويقال : إن سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه[26]، وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله على نبينا وعليهم، ويقابلها قبور ثلاثة : هي قبور أزواجهم، وعن يمين المنبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضي إلى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة، ويقال : إنها محاذية لها. وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك وهو الآن مسدود وقد نزلت بهذا الموضع مرات". (المرجع السابق: 75)

---

[21] كان هذا المسجد هو الأول الذي شيّد في مصر عام 20 . 641 من قبل الفاتح عمروا بن العاص، ثم أعيد بناؤه عدة مرات، وقد صادف أن كان في حالة خراب عند زيارة ابن بطوطة لمصر، وأمّا البناء الحالي للمسجد فإنه يرجع لعام 1212 . 1798.

[22] الإمام الشّافعي هو الذي ينسب إليه المذهب الشافعي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ولد في غزة، وتوفي بمصر عام 204 . 720، ومشهده بالقاهرة مقصود

[23] كانت الخانقاه بالفارسية (KHANEQAH) بمثابة الزاوية والرباط، والمكان لإيواء الحجاج والمنقطعين للعبادة.

[24] الخليل لقب سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهذه المدينة هي التي تحمل اسم حبرون (HEBRON) ويتحدث الهروي عن زيارته لمدينة الخليل بالمدينة في عهد بودوان عام 513 هـ ... الإشارات . دمشق 1953 ص 31.

[25] يذكر أن هذا المسجد أيضا بني محل كنيسة شيدت على أثر روماني قديم ...

[26] " ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ... يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات ... السورة 34، الآية 13

ذكر المسجد المقدس

وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن التي ذكرها ابن بطوطة في تحفة النظار ويقال: "إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه وأن طوله من شرق إلى غرب سبعماية واثنتان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية[27] وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعماية ذراع وخمس وثلاثون ذراعا، وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا وهو الذي يدخل منه الامام، والمسجد كله فضاء غير مسقف إلا المسجد الأقصى فهو مسقف[28]، في النهاية من إحكام العمل وإتقان الصنعة، مموّه بالذهب والاصبغة الرائقة، وفي المسجد مواضع سواه مسقفة". (المرجع السابق: 76)

مسجد الانبياء

ولما ارتحل الرحالة إلى طبرية ذكر مسجد الأنبياء وقال عنه: "يعرف بمسجد الانبياء فيه قبر شعيب عليه السلام وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام، وقبر سليمان عليه السلام، وقبر يهودا وقبر روبيل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم. وقصدنا منها زيارة الجبّ الذي ألقي فيه يوسف عليه السلام وهو في صحن مسجد صغير وعليه زاوية، والجب كبير عميق شربنا من مائه المجتمع من ماء المطر، وأخبرنا قيّمه أن الماء ينبع منه أيضا". (المرجع نفسه)

ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية

هذا المسجد من أعظم وأعجب المساجد مر بها ابن بطوطة أثناء رحلته، وذكر عنه: "إنه أعظم مساجد الدّنيا احتفالا، وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا، ولا يعلم له نظير ولا يوجد له شبيه، وكان الذي تولى بناءه وإتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان". (المرجع السابق: 104)

مسجد الأقدام بدمشق

ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجد الأقدام، قال ابن بطوطة عنه: "وهو في قبلي دمشق على ميلين منها، على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر، وهو مسجد عظيم كثير البركة، وله أوقاف كثيرة، ويعظمه أهل دمشق تعظيما شديدا والأقدام التي ينسب اليها هي أقدام مصورة في حجر هنالك يقال إنها أثر قدم موسى عليه السلام، وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه : كان بعض الصالحين يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم في النّوم فيقول له : ها هنا قبر أخي موسى عليه السلام. وبمقربة هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الأحمر وبمقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف أيضا بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود". (المرجع السابق: 109)

ذكر مسجد رسول الله صلىاللهعليه وسلم وروضته الشريفة

ذكر الرحالة عن مسجد النبي ﷺ قائلا: "المسجد المعظم مستطيل تحفّه من جهاته الاربع، بلاطات دائرة به ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلّط بالحجر المنحوتة، والرّوضة المقدسة[29] صلوات الله وسلامه على ساكنها، في الجهة القبلية مما يلي الشرق من المسجد الكريم، وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله،

---

[27] قبل ابن بطوطة وجدنا خسرو علوي الذي سجل مذكرات حجّه 437 . 444 . 1052 في كتابه (سفرنامه) يقول: إن طول المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع بذراع الملك" قال : وهو أي ذراع الملك أقلّ قليلا من ذراع ونصف، هذا وإذا كان ابن بطوطة غفل عن نقوش الأقصى ... فإن البلوي في رحلته (تاج المفرق)، استطاع أن ينقل زهاء خمسة من المنقوشات التاريخية المفيدة، وكذا السفير المغربي ابن عثمان في رحلته اجراز المعلى والرقيب ...) أنظر مخطوطة البلوي في الخزانة العامة.
انظر ناصر خسرو علوى : سفرنامه، ترجمة د. يحيى الخشاب (مشروع الألف كتاب الثاني، 122 . الهيأة المصرية العامة للكتاب 1993 ص 69.
رحلة ابن عثمان : إحراز المعلّى والرقيب مخطوطة.

[28] يتعلق الأمر بفناء كبير يسمى الحرم الشريف يحتوي على مسجدين : المسجد الأقصى، وقبة الصخرة، والأوّل يتألف من بلاد بيزنطي يعود تاريخه للقرن الأول الهجري . السابع الميلادي، كما يتألف من مدخل قوطي بني سنة 624 . 1227، هذا ولا بد من الاطلاع على ما في (نزهة المشتاق) للادريسي الذي يقارن بين جامع قرطبة وبين المسجد الأقصى (ج 4 ص 359 . 360)، مطبوعات المعهد الشرقي ناپولي، إيطاليا

[29] هذه معلومات مقتبسة باختصار من ابن جبير إنما يلاحظ أن المسجد الأول الذي كتب عنه ابن جبير تهدم في أعقاب حريق مدمر عام 654 ه . 1256، هذا ونلاحظ أن معظم مخطوطات ابن بطوطة ومنها مخطوطة الخزانة الملكية بالمغرب كتب (مؤزّرة) عوض مدورة ...

وهي مؤزّرة بالرخام البديع النحت، الرائق النعت، قد علاها تضميخ المسك والطيب مع طول الأزمان، وفي الصفحة القبلية منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم، وهناك يقف الناس للسلام مستقبلين الوجه الكريم، مستدبرين القبلة فيسلمون وينصرفون يمينا إلى وجه أبي بكر الصديق، ورأس أبي بكر رضي الله عنه، عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينصرفون إلى عمر بن الخطاب، ورأس عمر عند كتفي أبي بكر رضي الله عنهما. وفي الجوفى من الروضة المقدسة زادها الله طيبا حوض صغير مرخّم في قبلته شكل محراب يقال إنه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ويقال أيضا هو قبرها، والله أعلم". (المرجع السابق: 129)

ذكر مسجد الحرام شرفه الله وكرمه

لم يتوقف الرحالة ابن بطوطة بذكر المساجد إلى أن وصل إلى مسجد الحرام قائلا عنه: "والمسجد الحرام في وسط البلد وهو متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربعمائة ذراع، حكى ذلك الأزرقي[30]، وعرضه يقرب من ذلك والكعبة العظمى في وسطه، ومنظره بديع، ومرآه جميل، لا يتعاطى اللّسان وصف بدائعه، ولا يحيط الواصف بحسن كماله، وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعا وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف بأتقن صناعة وأجملها، وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاما عجيبا كأنها بلاد واحد، وعدد سواريه الرخامية أربعمائة واحدى وتسعون سارية[31] ما عدا الجصيّة التي في دار النّدوة[32] المزيدة في الحرم...". (المرجع السابق: 146)

ذكر الكعبة المعظمة الشريفة زادها الله تعظيما وتكريما

والكعبة أعظم بقعة الأرض وهي أول ما بني على الأرض. مر بها الرحالة ابن بطوطة ثم وصفها وقال: "هي ماثلة في وسط المسجد وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمان وعشرون ذراعا، ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعا وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبرا، وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الرّكن اليماني إلى الركن الشامي وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الركن الشامي، من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبرا، وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي إلى الركن العراقي، وارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبرا ونصف شبر، وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبرا، وعرض الحائط الذي ينطوي عليه خمسة أشبار وهو مصفح بصفائح الفضّة، بديع الصنعة وعضادتاه وعتبته العليا مصفّحات بالفضة وله نقّارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل، ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة، ويفتح في يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما[33]" . (المرجع السابق: 147)

ذكر الصفا والمروة

ومن الأماكن المقدسة التي ذكرها الرحالة ابن بطوطة، مناسك الحج التي منها الصفا والمروة كما في وصفه: "ومن باب الصفا الذي هو أحد أبواب المسجد الحرام إلى الصفا ست وسبعون خطوة، وسعة الصفا سبعة عشرة خطوة وله أربع عشرة درجة، عليا هنّ كأنها مسطبة، وبين الصفا والمروة أربعمائة وثلاث وتسعون خطوة، منها من الصفا إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة، وللمروة خمس درجات، وهي ذات قوس واحد كبير، وسعة المروة سبع عشرة خطوة، وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه، والسّاعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لإزدحام الناس على حوانيت الباعة، وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزّازون والعطارون عند باب بني شيبة". (المرجع السابق: 151)

---

[30] محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد بن عقبة بن الأزرق أبو الوليد الأزرقي، يماني الأصل من أهل مكة، له" أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وقد أدركه أجله على حسب بعض المؤرخين عام . 865 250. هذا ويلاحظ أن هذه المقاييس كانت بعد التوسعة التي قام بها الخليفة العباسي المهدي ...

[31] يعدّ ابن جبير 470 سارية يلاحظ أن رسم 90 يقارب رسم 70 هذا وحسب الرواية فإن بعض هذه السواري نقلت من إخميم صعيد مصر.

[32] دار الندوة القديمة تعرضت للخراب، وأعيد بناؤها في سنة 281 . 894 من لدن الخليفة العباسي المعتضد كملحقة للرواق الشمالي الغربي...
25 . Demombye : Le Pelerinage a la mekke, PARIS, 3291, P. 151 . Gaudefray

[33] في عصر ابن جبير كان الباب يفتح أيام الثلاثاء والجمعة، وكذا أيام رجب ابتداء من شروق الشمس

ذكر مظهر الإسلامية من أفعال السودان

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة، إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه، ومنها مواظبتهم للصّلوات والتزامهم لها في الجماعات، وضربهم أولادهم عليها، وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكّر الإنسان إلى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام. ومن عادتهم أن يبعث كلّ إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد، وسجادتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر له، ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة، ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم. (المرجع السابق: 703)

وفي ختام هذه النقطة التي تحدثت عن سمات الإسلامية في تحفة النظار يمكن أن نضيف عليها ما ذكرها ابن بطوطة عن المذاهب الفقهية الأربعة عند حضرة الملك الناصر حيث قال: "أخبر الرحالة، كان رسم القضاة عند هذا الملك: "أن يكون أعلاهم منزلة في الجلوس قاضي الشافعية ثم قاضي الحنفية ثم قاضي المالكية ثم قاضي الحنبلية، فلما توفى شمس الدين الحريري وولّى مكانه برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[34] أشار الأمراء على الملك الناصر بأن يكون مجلس المالكي فوقه، وذكروا أن العادة جرت بذلك قديما إذ كان قاضي المالكية زين الدين بن مخلوف[35] يلي قاضي الشافعية تقي الدين بن دقيق العيد، فأمر الملك الناصر بذلك، فلما علم به قاضي الحنفية غاب عن شهود المجلس أنفة من ذلك فأنكر الملك الناصر مغيبه وعلم ما قصده فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه أخذ الحاجب بيده وأقعده حيث نفذ أمر السلطان مما يلي قاضي المالكية واستمرّ حاله على ذلك". (المرجع السابق: 57)

ثم ذكر الرحالة في رحلته حزب البحر المنسون لولي الكامل أبي الحسن الشاذلي وما يتعلق به حيث قال: "كان يسافر في كل سنة كما ذكرناه على صعيد مصر وبحر جدة[36] فكان إذا ركب السفينة يقرأه كل يوم[37]، وتلامذته إلى الآن يقرءونه في كل يوم، وهو هذا : " يا الله، يا عليّ يا عظيم، يا حليم، يا عليم، أنت ربي وعلمك حسبي، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم، نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام السّاترة للقلوب، عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، فثبتنا وانصرنا وسخّر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى عليه السلام وسخّرت النار لابراهيم عليه السلام وسخرت الجبال والحديد لداوود عليه السلام وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان عليه السلام، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء، والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء، كهيعص[38] انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فأنت خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين وارزقنا فإنك خير الرازقين واهدنا ونجّنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدّين والدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، اللهم يسّر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبا في سفرنا، وخليفة في أهلنا وأطمس على وجوه

---

[34]ابراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن يوسف ابن ابراهيم الحنفي، برهان الدين بن كمال الدين المشهور بابن عبد الحق كان سبط ضياء الدين عبد الحق الحنبلي فاشتهر بالنسبة إليه ... ولى القضاء بمصر بعد الحريري عشر سنين ثم تحول إلى دمشق سنة 738 ... انتهت إليه رئاسة المذهب، توفي بدمشق في ذي الحجة 744 . مايه 1344. . الدرر الكامنةا ر 48.

[35]علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النّويري المالكي قاضي القضاة زين الدين ... اشتغل على مذهب مالك ومهر ... ثم استقر في القضاء بعد ابن شاس ... إلا أن الناصر عزله لما رجع فاستناب القاضي بدر الدين ابن رشيق ثم بعد قليل أعيد ابن مخلوف وكان كثير الاحتمال والإحسان للطلبة ... توفي بحادي عشرين جمادى الأخير 718 . 20 غشت 1318 واستقر بعده تقي الدّين الإخناني. .الدرر 3 ص 222.

[36]بحر جدة يقصد به البحر الأحمر ...

[37]لقي حزب البحر اهتماما كبيرا لدى عدد كبير ممن لهم صلة بالبحر من المسلمين، وقد وجدنا أن الدولة المغربية توصي ربابنة السفن بتلاوة هذا الحزب، كما قرأنا أن العثمانيين جعلوا على تلاوته أوقافا خاصة في بغداد ... وقد ترجمه إلى الإنگليزية السير بيرطون Burton في عام 1893 في الفصل II من تأليفه .PERSONAL NARRATIVE : هذا وقد وضعت على نهج حزب البرّ. وحزب البحر، وردا أطلقت عليه (حزب الجو) نظرا لكثرة أسفاري جوّا!! نشرته بعض المجلات والصحف في المغرب والمشرق.

د. التازي : حزب الجو، دعوة الحق أبريل 1984 . جريدة الشرق الأوسط : 29 غشت 1988 / 3 أكتوبر 1988.

[38]سورة الأحزاب 11 . فاتحة السورة رقم 19 : سورة مريم، وقد كثر الكلام حول معنى كهيعص ...

والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبا في سفرنا، وخليفة في أهلنا وأطمس على وجوه أعدائنا وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضيّ ولا المجيء الينا، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون، ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يس شاهت الوجوه، وعنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلما، طسّ، حم عسق، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، حم حم حم حم حم حم حم، حمّ الأمر وجاء النصر، فعلينا لا ينصرون، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل الثوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلّا هو، إليه المصير، بسم الله بابنا تبارك حيطاننا، يسّ سقفنا، كهيعص كفايتنا، حم عسق حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، ستر العرش مسبول علينا، وعين الله ناظرة" إلينا، بحول الله لا يقدر علينا، والله من ورائهم محيط، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، الله خير حفظا وهو أرحم الرّاحمين، إن وليّى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء" في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. له معقّبات" من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". (ابن بطوطة، 1987م: 42-43)

وعن ما يتعلق بحزب البحر ذكر عنه ابن بطوطة عند قوله: "لما وصل ابن بطوطة إلى مدينة (هو)[39] قال: "نزلت منها بمدرسة تقي الدين ابن السراج ورأيتهم يقرءون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزبا من القرآن ثم يقرءون أوراد الشيخ أبي الحسن الشاذلي وحزب البحر وبهذه المدينة السيد الشريف أبو محمد عبد الله الحسنى من كبار الصالحين". (المرجع السابق: 58)

4. بعض ملامح الدينية غير الإسلامية

تعود أقدم الأدلة على المعتقدات الدينية إلى العصر الحجري، حيث تدل آثار المدافن العالمية القديمة والتي يبلغ عمرها أكثر من 300000 سنة على أنها أدلة على وجود المعتقدات الدينية لدى الانسان منذ سالف الأزمان. تعددت صور المعتقدات عند الإنسان وتطورت من عبادة الحيوان إلى عبادة قطع من الصخور التي كان يستحسن مظهرها وهيئتها، والذي بدوره أدى إلى نسج الأساطير والقصص بالموجودات التي تحيط به، كالجبال والآبار والأشجار؛ فعبد الأصنام والأوثان وكانت بأشكال متنوعة، منها ما هو على صورة إنسان أو حيوان أو طير، كما عبد الشمس والنجوم والكواكب والنار. ثم تطورت معتقدات البشر إلى صيغة ديانات التوحيد السماوية، كاليهودية والنصرانية والاسلام. بناء على ما سبق في القول، سيتناول الباحث بعض سمات الدينية غير الإسلامية التي وردت في كتاب تحفة النظار، والتي هي الوثنية الجاهلية والنصرانية واليهودية.

الوثنية الجاهلية

عبادة الشمس

وأدل دليل على وجود بعض السمات الدينية غير الإسلامية التي تبرز المعتقدات الوثنية ما أورده الرحالة حكاية عن أمير كان يعبد الشمس؛ قال عن ذلك: "وممّا جرى بمدينة الاسكندرية سنة سبع وعشرين أنه بعث الملك الناصر أميرا يعرف بالجمالي ثم أتبعه أميرا يعرف بطوغان، جبار قاسي القلب متهم في دينه، يقال: إنه كان يعبد الشمس، فدخلا إسكندرية وقبضا على كبار أهلها وأعيان التجار بها". (المرجع السابق: 45)

ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار

ومن مظاهر الجاهلية، ذكر الرحالة الهنود الذين يحرقون أنفسهم بالنار وذلك في قوله: "رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم: ما الخبر؟ فأخبروا أن كافرا من الهنود مات وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقت معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى

[39] مدينة هو HIW ((DIOSPOLIS PARVA)) (: تقع على النّيل منتصف الطريق بين جيرگا وقنا

المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان استأذنوا السلطان في إحراقها فيأذن لهم فيحرقونها". (المرجع السابق: 422)

حكاية الجوكي

ومما يدل على الوثنية الجاهلية مظاهر تبرز عبادة الأصنام منها ما سمي بالجوكي. ذكر الرحالة في تحفة النظار حكاية عن هذا بقوله: "ولما نزلنا بهذه الجزيرة الصغرى وجدنا بها جوكيا مستندا إلى حائط بدخانة، وهي بيت الاصنام، وهو فيما بين صنمين منها وعليه أثر المجاهدة فكلّمناه فلم يتكلم، ونظرنا : هل معه طعام فلم نر معه طعاما، وفي حين نظرنا صاح صيحة عظيمة فسقطت عند صياحه جوزة من جوز النارجيل بين يديه، ودفعها لنا فعجبنا من ذلك ودفعنا له دنانير ودراهم، فلم يقبلها وأتيناه بزاد فردّه. وكانت بين يديه عباءة من صوف الجمال مطروحة فقلّبتها بيدي فدفعها لي، وكانت بيدي سبحة زيلع[40] فقلّبها في يدي فأعطيته إياها، ففركها بيده وشمها وقبّلها، وأشار إلى السماء ثم إلى سمت القبلة. (المرجع السابق: 565)

ذكر بعض من أحوال أهل الصين

ومما ذكر ابن بطوطة عن الوثنية، حديثه عن أهل الصين الوثنيين لما قال: "وأهل الصين كفار يعبدون الاصنام ويحرقون موتاهم كما تفعل الهنود، وملك الصين تتري من ذرية تنكيزخان، وفي كلّ مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لإقامة الجمعات وسواها، وهم معظّمون محترمون، وكفار الصين يأكلون لحوم الخنازير والكلاب ويبيعونها في أسواقهم، وهم أهل رفاهية وسعة عيش إلا أنهم لا يحتفلون في مطعم ولا ملبس، وترى التاجر الكبير منهم الذي لا تحصى أمواله كثرة وعليه جبة قطن خشنة." (المرجع السابق: 641)

مظاهر الجاهلية لأهل السودان

ومن مساوي أفعال بعض أهل السودان ما ذكره الرحال عن التعري وأكل الجيف حيث قال مستقبحا لذلك: "كون الخدم والجواري والبنات الصّغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة، فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان، ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهنّ من جواريه، وهن عرايا! ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات، وتعرّي بناته، منها أن كثيرا منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير". (المرجع السابق: 703)

حكاية أكلة لحم البشر

ومن ضمن ما ذكره صاحب تحفة النظار فيما استقبحه من أفعال السودان، أكلهم لحوم البشر حيث ذكر: "أخبرني فربا مغا أن منسى موسى لما وصل إلى هذا الخليج، كان معه قاض الذس غضب على سارقه الأبيض ونفاه إلى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم[41]، فأقام عندهم أربع سنين، ثم رده إلى بلده، وانما لم يأكله الكفار لبياضه! لأنهم يقولون : إن أكل الأبيض مضر لأنه لم ينضج والأسود هو النضج بزعمهم". (المرجع السابق: 706)

حكاية أكلة خادمة السلطان

زاد ابن بطوطة في حديثه عن أكلة لحوم البشر حيث قال: "قدمت على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم، معهم أمير لهم، فأكرمهم السلطان، وأعطاهم في الضيافة خادما فذبحوها وأكلوها

[40] الزيلع : ضرب من صغار الودع، الصدف ... وهناك (زيلع) : العلم الجغرافي: عاصمة البربرة التي تقدم الكلام عنها ج II . 180. حول بدخانة يراجع ج.III . 151

[41] تقع المناطق التي عرفت بأكل لحوم البشرanthropophagie I في الطريق الرئيسي الذي يمتد من يولا (Yola) إلى تخوم زاريا (ZARIA)، هناك أربع وثلاثون قبيلة معروفة بالاسم، ويذكر ميك (Meek) في تأليفه عن قبائل شمال نيجيريا) 1925 أن من بين القبائل التي لا تتناول لحوم البشر اليوم توجد بقايا عادات تدل على أن فيها من كان يفعل ذلك قبل : وقد ذكر العمري أن تاجرا قدم لأحد الملوك الوثنيين السود قطعا من الملح، وعند العودة بعث اليه الملك المذكور بفتاتين لغرض اكلهما! خليفة عباس العبيد : الزبير باشا مصدر سابق . تعليق 53.

ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها وأتو السلطان شاكرين!! وأخبرت أن عادتهم متى ما وفدوا عليه أن يفعلوا ذلك وذكر لي عنهم أنهم يقولون : إن أطيب ما في لحوم الآدميات الكفّ والثدي". (المرجع نفسه)

سلاطين كفار

فالملامح الدينية تتجلى في تحفة النظار على أبعاد متنوعة حيث يبرز سمات الدينية غير الإسلامية بوجود أمراء وسلاطين كفار ببلاد الهند وغيرها؛ الذين التقى بهم الرحالة وفاز بصحبتهم وضيافتهم أثناء تجواله. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سلطان فاكنور الكافر بأرض الهند، وسلطان قلقوط وسلطان كولم. (المرجع السابق: 571-579)

كما ذكر سلطانا آخر كافرا عند هزيمة الكفار وكان فيما يجاور بلاد غياث الدين سلطان كافر يسمى بلّال ديو، وهو من كبار سلاطين الكفار يزيد عسكره على مائة ألف، ومعه نحو عشرين الفا من المسلمين أهل الذعارة وذوى الجنايات والعبيد الفارين. (المرجع السابق: 616)

النصرانية

تنوعت سمات الديانة النصرانية في تحفة النظار كما تنوعت سمات الإسلامية؛ منها ما ذكره الرحالة من الكنائس وبعض الأماكن تقدسها النصارى مثل محل ميلاد عيسى عليه السلام و قبره وقبر أمه مريم وغيرها. وعن ذلك يقول الرحالة: "ثم سافرت من هذه المدينة إلى القدس، فزرت في طريقي اليه تربة يونس عليه السلام وعليها بنية كبيرة ومسجد، وزرت أيضا بيت لحم موضع ميلاد عيسى عليه السلام، وبه أثر جذع النخلة[42] وعليه عمارة كثيرة[43] والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيّفون من نزل به. (المرجع السابق: 77)

ذكر بعض الكنائس

ومما يبين مظاهر الديانة النصرانية ما ذكره الرحالة من الكنائس كان النصارى يعظمنها ويقدسونها، قال عنها: "فمنها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد على تلّ مرتفع هنالك بنية يقال إنها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء[44]، ومنها أيضا قبر رابعة البدوية (منسوب إلى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة[45]، وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى ويقولون : إن قبر مريم عليها السلام[46] بها، وهنالك أيضا كنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى[47]، وهي التي يكذبون عليها ويقولون إن قبر عيسى عليه السلام بها، وعلى كل من يحجّها ضريبة معلومة للمسلمين، وضروب من الإهانة يتحملها رغم أنفه، وهنالك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به".

(المرجع السابق: 78)

وفي ختام ما تناول الباحث بالدراسة عن استخراج المظاهر الدينية في تحفة النظار، حكاية الطاعون الأعظم في دمشق حيث يتمثل جميع الديانات السماوية من الإسلامية واليهودية والنصرانية في آن واحد حيث ذكر:

[42] الإشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم : " فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت : يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا الآية 23 . 26 من السورة التاسعة عشرة، وقد ذكر ابن حوقل أن" النخلة إلى الآن هناك معظمة" وقد اختفت النخلة اليوم.

[43] القصد إلى كنيسة ميلاد المسيح (La Nativite) التي أعيد بناؤها عام 564 . 1169 من لدن مانييل كومنين (M.Comnene) أمبراطور بيزنطة.

[44] يلاحظ من خلال الوصف الدقيق الذي قدمه ابن بطوطة تعلق الرحالة المغربي ببيت المقدس ... وقد قرأنا في (سفرنامه) لناصر خسرو علوي عن (الرواق المغربي) الذي كان هناك على عهده 444 . 1052 كما قرأنا عن الحصر المغربية التي كانوا يفرشون بها الحرم الشريف وكانت تفوق الديباج حسنا ونعومة إلى جانب الدنانير المغربية التي كانت رائجة هناك مما يؤكد الوجود المغربي المبكّر في هذه الأماكن أنظر د. التازي : أوقاف المغاربة في القدس . مطبعة المحمدية رقم الإيداع القانوني 1981.

[45] ربيعة البدوية سيدة عابدة، قبرها في جبل الزيتون وهو الموجود في مقبرة سانت بيلاجي (Pelagie . Saint) حسب نقول بعض الحجاج الغربيين أما رابعة أو ربيعة بنت إسماعيل العدوية فهي صوفية كبيرة شهيرة. عاشت بالبصرة، وأدركها أجلها بالبصرة عام 185 . 801، ويظهر من كلام الهروي أن الذي يوجد بالجبل هو بيت العدوية وليس قبرها ... قال : والصحيح أن قبرها بالبصرة، وأمّا التي توجد بجبل القدس فهي رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواريّ (ص 28 من الاشارات).

[46] الذي في كتاب الاشارات للهروي إن قبر مريم أم عيسى في وادي جهنم ينزل إليه في ست وثلاثين درجة ... ص 28.

[47] هي كنيسة سان . سيبّولكر(S.SEPULCRE)الذي تعرف بكنيسة القمامة التي تركها الخليفة عمر ابن الخطاب للمسيحيين.

"شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق، أن ملك الأمراء نايب السلطان أرغون[48] شاه أمر مناديا ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية، ثم اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة وساير الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم وباتوا ليلة الجمعة ما بين مصل وذاكر وداع، ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعا على أقدامهم وبأيديهم المصاحف، والأمراء حفاة وخرج جميع أهل البلد ذكورا وإناثا صغارا وكبارا، وخرج اليهود بتوراتهم، والنصارى بإنجيلهم، ومعهم النساء والولدان وجميعهم باكون متضرعون متوسلون إلى الله بكتبه وأنبيائه ثم وخفف الله تعالى عنهم فانتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد". (المرجع السابق: 116)

خاتمة

أخيرا تناول الباحث نبذة مختصرة عن الرحالة ابن بطوطة وكتابه تحفة النظار، ثم تطرق نبذة موجزة عن الديانات حيث وقف مستخرجا بعض السمات الدينية لكل من الديانات السماوية والوثنية الجاهلية. وها هو وصل إلى نهاية بحثه، ويلاحظ أنه برع ابن بطوطة في فن الوصف ووصل درجة عالية لم يسبق إليه، ومن هذا الوصف ظهرت شهرته في مجال أدب الرحلة. ويمكن القول بأن الرحالة مر أثناء تجواله بالشعوب المختلفة في الاعتقادات الفكرية؛ نتج من احتكاكه بهم ذكره الملامح الدينية المتنوعة في تحفة النظار. لم يَكْتفِ ابن بطوطة بالوصفِ الخارجيِّ للأماكنِ التي زارَها، بل استفاضَ في الحديثِ عن مَداخلِ المدنِ ومَخارِجِها وطَبائعِ الشعوبِ المُختلِفةِ التي عاشَرَها من محاسنهم ومساويهم مثل أخلاقهم ومعابدهم، وسرَدَ العديدَ منَ الحِكاياتِ المشوِّقةِ وذكر عدة السمات الدينية؛ سواء كانت إسلامية أو غيرها من ديانات شعوب المختلفة التي مر بها طوال ترحاله.

بعد ما تناول الباحث كتاب تحفة النظار بالدراسة عن الملامح الدينية، تحصل على نتائج هامة وهي على النحو الآتي :

-يمثل أدب الرحلة صورة قديمة للقصة بحيث توجد فيه عناصر أساسية مثل السرد، والحوار، والوصف وغيرها وهو يجمع بين المتعة والفائدة؛

-أعطى ابن بطوطة في كتابه صورة واضحة للواقع الاجتماعي والديني وأهم ما شاهده عن الديانات. ثم ذكره لأهم الأحداث والمواقف التي كانت بينه وبين الشعوب المتدينة مر بهم أثناء رحلته وخصوصا العلماء والأولياء والمشايخ؛

-يتمثل التعايش السلمي بين الشعوب المختلفة في المعتقدات الدينية فيما صوره لنا الرحالة ابن بطوطة في تحفة النظار ما أتاح له المرور بهم والتدوين عنهم وعن معابدهم المختلفة وعاداتهم المتنوعة؛

-يقدم الرحالة جانبا من سيرته ذاتية وذلك من خلال سرد كل ما يتعلق به في رحلته كما يقدم بعض الأحيان أخبار نادرة عن رجال الديانات. والرحالة يلجأ بعض الأحيان إلى طابع السخرية والفكاهة، وقد يصبح هذا الأسلوب الخفيف المرح الساخر علاجا للحزن والألم النفسي؛

- يضم قصص الشخصيات الدينية في تحفة النظار خصائص مفيدة، وفنيات متنوعة ومزايا متعددة مما جعل ابن بطوطة ينزلهم مرتبة عليا عنده حيث نجده يسرد قصتهم بكل كرامة وتفصيل...

[48]أرغون شاه الناصري حظي عند الملك الناصر برتبة عالية وتولى منصب الاستذارية (الحجابة) ولم يزل كذلك حتى جاء الأمر بامساكه وذبحه في شهر ربيع الأول 1349، الدرر 1، 373 . الدارس في تاريخ المدارس، ج 2، ص 234.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

صحيح البخاري

ابن الوزان، الحسن: وصف إفريقيا ج ا، ترجمة حجي والأخضر، الرباط 1400هـ/1980م

ابن اياس: بدائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب-القاهرة، 1982م

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م

ابن حبير، أبو الحسين محمد بن أحمد: رحلة ابن جبير (تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1981م.

البسيط، موسى: كتاب رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله ﷺ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بمدينة المنورة، 1425هـ

البيلوني، رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وإفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية 1968م

التازي، عبد الهادي: أوقاف المغاربة في القدس. مطبعة المحمدية رقم الإيداع القانوني، 1981م.

التازي، عبد الهادي: رحلة ابن بطوطة، نشر أكاديمية المملكة المغربية، رباط، 1997م

التجيبي : مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور. الدار العربية للكتاب، ليبيا. تونس، 1975م

د. التازي : حزب الجو، دعوة الحق أبريل 1984 . جريدة الشرق الأوسط : 29 غشت 1988 / 3 أكتوبر 1988م.

دكتور سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الإسكندرية وحضارتها، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

الدكتور سيد حامد النساج، مقال تحت عنوان: "دعوة لدراسة أدب الرحلات في تراثنا العربي"؛ مجلة الفيصل، عدد 186، السنة 16 يونيو 1995م.

الزركلي الدمشقي، خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام، طبعة الخامسة عشر، ج6، دار العلم للملايين، أيار، 2002م

عبد القادر، كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، دار الزمان للنشر والتوزيع، 2011م

العسقلاني، أحمد بن علي: الدرر الكامنة، دائرة المعارف العثمان –آباد، 2012م

غلوش، أحمد: دعوة الرسل عليهم السلام، مؤسسة الرسالة، 1423هـ

ناصر خسرو علوى : سفرنامه، ترجمة د. يحيى الخشاب (مشروع الألف كتاب الثاني، 122 . الهيأة المصرية العامة للكتاب 1993م

25. Demombye : Le Pelerinage a la mekke, PARIS, 3291, P. 151 . Gaudefray